المردود السلبي لتقريب الخواص وأثره في منظومة الحكم
(قراءة في عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر(رضي الله عنه)

م.د. علي رحيم أبوالهيل الجابري
جامعة ميسان / كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ

الملخص :

يحاول البحث أن يسلط الضوء على نقطة حساسة تخترق من خلالها منظومة الحاكم ، ألا وهي تمدد المقربين منه و استحواذهم و استئثارهم بموارد الدولة ، لذا حاول البحث اثارة هذا الموضوع من خلال العهد العظيم الذي اختطته الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر حين ولاه على مصر .

المقدمة

أخذ مفهوم الخاصة مساحة واسعة الاهتمام من عهد الإمام علي (عليه السلام) الذي وجهه لمالك الأشتر حين ولاه على مصر . وهو بذلك يصدر عن معاينة لتجربة كانت آثارها وخيمة على مؤسسة الخلافة والدولة والمجتمع مثلتها تجربة حكم عثمان بن عفان وتقريبه لبني عمومته الأمويين وما أحدثوه في الدولة الإسلامية من فساد اداري ومالي ، وعلى الرغم من ادراك الإمام علي (عليه السلام) قيمة ومكانة شخصية مالك الأشتر إلا انه لم يتركه من دون أن ينبه لخطورة الحضور الفعلي لتلك الطبقة و آثار تمددها في شخصيته و خروجها عما مرسوم لها من حقوق وما عليها من واجبات ، وفي هذا الصدد يستحضر الإمام علي(عليه السلام) مجموعة من النقاط المفصلية التي تبين طبيعة تلك الطبقة وكيفية تشكلها ففي كثير من الأحيان تلج الحياة لتلك الطبقة مع قيام الأنظمة السياسية ، مكونة مجموعة من الدوائر المحيطة بالحاكم ، التي تتضخم في كثير من المجالات لتكون لها المحورية في رسم سياسة الدولة التي تحاول من خلالها التنفذ والهيمنة وشخصنة الدولة لذاتها المعنوية و المادية ، هذا ما سيحاول البحث التعرض له و التأكيد عليه وذلك من خلال عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر(رضوان الله تعالى عليه) الذي يمثل قمة الرقي الدستوري و القيمي لإدارة الدولة و ايصالها إلى ما رسمته السماء لها .

أولا : طبقة الخواص في القرآن الكريم

يوظف الإمام علي (عليه السلام) في هذا المجال الصورة المستوحاة من واقع النص الديني و الموروث التاريخي ، في توظيف تام لكل منابع المعرفة التي يمكن من خلالها أن تستقيم الأمور ليدرجها في عهده لمالك الأشتر، ولاشك أن القرآن الكريم يأتي على هرم تلك المنابع المعرفية فهو الذي لا يأتيه الباطل أبدا ، وهو الذي أخذ حيزا كبيرا من حياة الإمام علي (عليه السلام) ، حتى أعلن الرسول(صلى الله عليه وآله) ذلك في قوله : "**علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض**" [١] وحقيقة أن ما يروى في ما يأتي لهو دليل واضح عن مدى العلاقة بين سيد العترة والقرآن إذ ورد عنه (سلام الله عليه) قوله : "**ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ، ولَنْ يَنْطِقَ ، ولَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ : أَلا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، والْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، ودَوَاءَ دَائِكُمْ ، ونَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ... واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُو النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ ، والْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ ... فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ... فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وهُو : الْكُفْرُ والنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلالُ ... واعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ... واسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، واسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ**"[٢] .

وعندما ينطلق الإمام (عليه السلام) لابتكار عقد لإدارة الحياة (الدولة و المجتمع)، يمثل خلاصة التجربة الناجحة لتطبيق نظرية الحكم الإسلامي التي مثلتها سياسته لدولة الإسلام في المدة الممتدة من (٣٥- ٤٠ه) التي يرجو استمرارها وشيوعها ومحاكاتها من الآخرين ،لاشك ولا ريب في أن يكون المضمون القرآني حاضرا حضورا قويا في مثل هذا العهد والتجربة ،غير أننا ولاختصاص البحث بالمردود السلبي لطبقة الخواص على نظام الحكم سنتطرق فقط لما يخص ذلك من نصوص قرآنية ، فتتبع المضامين والإيحاءات القرآنية في هذا الجانب يحتاج إلى استقصاء اللفظة والمعنى والفكرة الضمنية التي تنتمي للقرآن وحيزها الوجودي في ذلك العهد ، الذي لا نشك في أنه ترجمه لواقع النص القرآني و التعاليم الربانية لإدارة الدولة .

يورد القرآن الكريم مجموعة من الآيات التي تبين طبيعة خواص الحاكم السياسي[٣] و التي أخذت تسمية (الملأ) فيبين في اشارات ضمنية الصفات التي تتمع بها تلك الطبقة ، ودورها وفاعليتها ومحوريتها في رسم الحدث ،فمثلا وردت الإشارة إلى الملأ الذين عاصر النبي يوسف و النبي موسى ، ففي الأولى نجد أن القرآن يشير الى ذلك التواجد من خلال الرؤيا التي حدثت للملك " **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ**

وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ" (٤).

ما يبين لنا جملة من الأمور منها :

إن الملأ هم أعلى سلطة في منظومة الحكم وبهم تقام أعمدة السلطة و يعتمد الحاكم عليهم اعتمادا كليا فالآيات تصور أن أول من فزع الملك له مما رأه و التجأ اليهم هم الخواص ما يدلل على مدى تأثيرهم وقربهم من قرارات الحاكم و انما الأخذ والرد منهم ، كما يلاحظ من خلال النص القرآني أن الملأ المشار اليهم آنفا هم كيان يمثل حالة غير منتجة للحاكم وهذا ما بدا واضحا في الحادثة المشار اليها اذ نجدهم قد تهربوا منها بقولهم أضغاث احلام وهي كلمة تعني انما هي مجرد اختلاط في المنامات لا تفسير لها (٥)، ما يعني ان كثيرا من هؤلاء الخاصة لا يملكون من المؤهلات التي تقوّم الدولة ويملكون أدوات الخبرة لديمومتها وبقاءها أو حل المعضلات التي تواجهها ، وانما هي عبارة عن كائن يعتاش ويتمدد و ينمو على كتف الدولة غير أن جدواه عقيمة لا تساوي ما يبذل له ، وهذ المفهوم استقاه أمير المؤمنين نفسه في عهده لمالك الأشتر وهذا ما سيتبين لاحقا.

كما ان النص المتقدم يشير إلى اخفاق النخبة المحيطة بالحاكم وعوزها المعرفي وعدم قدرتها على آداء مهام ادعتها لذاتها لذا حاولت التغطية عليه بالقول إنها من المنامات التي لا مجال لتواجدها في موسوعة المعارف وانما هي امور تقع في خانة اللغو الذي يمر به الإنسان في المنام في حركة توجيه واضحة المقاصد تبعدها عن دائرة شك الحاكم بها .

في حين نجد أن صورة خواص الفرعون (٦) الذي عاصر النبي موسى (عليه السلام) انما هي معبرة عن طبيعة الاستعلاء والازدراء و العنجهية التي تغيب معها العقل ، وتتبع ذلك يتبين من خلال تتبع النصوص القرآنية ، إذ ورد قوله تعالى : " قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ... وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ " (٧) وفي سورة الشعراء :" قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ "(٨) والتي يمكن أن نستنتج منها أن خاصة فرعون كانت تتميز بمفردة الإلغاء للآخر و أنها غير قادرة على استيعاب حالة النبوة التي تجسدت في موسى و لم تعتمد إلا على منهج استغلال عوامل القوة

والبطش بالآخر، والقرآن يصور حالة التحريض التي كانت عند تلك الخاصة و التي نتج عنها مجموعة من الإجراءات القمعية التي تكللت برغبة افناء المكونات التي لا تنتمي لفرعون أو تعتقد به كوجود عقدي له الحاكمية المطلقة على البشر .

لو سلطنا الضوء على البيئة القيمية لخواص فرعون لوجدنا :

١- انها طبقة تعتمد على الترديد و لا تمتلك الاستقلالية في شخصيتها ، فتواجدها وموقفها عبارة عن اصداء لطبيعة الإرادة الفرعونية من دون ان تتحلى بالشخصية المعنوية ذات الاستقلال الواضح .
٢- ان طبقة الخواص هي طبقة مصلحية لا تستهدف إلا الحفاظ على المكاسب المتوفرة عندها وهذا ما يؤدي إلى مسايرتها كل قرارات فرعون خشية الخسارة لتلك المكاسب .
٣- عدم تمثيل طبقة الخواص للعامة أو مصالح و ارادة الرعية وانما تمثل ذاتها التي تتسلل وتتضخم باستغلال المستجد و الحدث من دون أن يكون لها تواجد ايجابي يلقي بضلاله على العامة ، بل يتجلى تحشيدها لفرعون في عدة مواقف محفزة اياه ولوج ظاهر الاستعباد و القهر وذلك ما يتضح من خلال قوله تعالى : " قال الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ " (٩) ما يعني أن طبقة الخاصة تعتمد في تواجدها على طبيعة تصنيع الخطاب و تسويقه ليكون مقبولا عند فرعون وممثلا لعبوديتها له التي تحقق لها البقاء وهذا ما وجد في النص المتقدم الذي اعتمدت فيه الخاصة على استيلاد خطاب تحريضي يعاكس حقيقة الواقع المنظور ، فطبقة الخواص قد اتبعت حالة من الإزدراء والتعصب فضلا عن التكبر في التعامل ، في حين نجد أن الأنبياء قد أوضحوا الحق من الباطل عن طريق عرض الخطاب الإلهي و إرادة السماء باسلوب فيه من اللين والعقلانية المتوازنة مع طبيعة المهمة وهذا ما صورته الآية الكريمة التي خاطب الله سبحانه وتعالى بها النبي موسى وأخيه النبي هارون (عليهما السلام) : " **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** " (١٠) .

وفي مقابل ما وجدناه من تعامل هؤلاء الخاصة و مخالفتهم للأنبياء الذي يمثل صورة معبرة عن الخضوع التام لشخص الحاكم وما يحمله من صفات استبدادية ، نجد أن بعض خواص الملوك هم بدرجة من الرقي و تحليهم بالوعي الحضاري في التعامل مع الأنبياء كما هي حالة خواص ملكة سبأ الذين مثلوا عنصر التوازن العقلي إذ يصور

القرآن الكريم ذلك بقوله سبحانه وتعالى: " قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ . قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ . قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ " (١١)

ففي بداية كلامها لم تكن تملك المواربة أو لغة التعجل أو التهكم بالآخر بل تكلمت بلغة حضارية قلما توجد في حاكم له من السلطة والهيبة والنفوذ خصوصا وأن هذ الموقف اطلقته أمام الخاصة من دون خشية من استغلاله كنقطة ضعف ضدها ، بل تعاملت بحرفية ونظرة واقعية وحفظ لمكانة المقابل وشخصيته المعنوية لذا قالت (كتاب كريم) ولم تقل أي كلمة فيها ازدراء ، وحتى اجابة الخاصة لم تكن تلك الإجابة التي تحمل في جنباتها الاستعراض لمصادر القوة وجعله الخيار الأمثل لتلك المواجهة بل ترادف مع ذلك قولهم " والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين".

ما يعني أن الطبيعة الحضارية لسبأ قد القت بظلالها على التعامل و انعكست آثارها على الطبقة الحاكمة ومنها الخواص التي لم تكن إلا دقيقة في حساباتها وتصرفاتها بحيث ادت ببلقيس أن تسلك السلوك الحضاري في التعامل ممهدت له بحركة ابتعاث دبلوماسي اسفر عن نتائج ايجابية كان لها أن تغير كثير من المسيرة العقدية لتلك المرأة و مملكتها (١٢).

ثانيا : خاصة مالك بين واقعية التواجد وإيحاءات التجربة التاريخية

ينطلق الإمام علي (عليه السلام) بالحديث عن طبقة الخواص بصورة مباشرة في ذلك العهد إذ يورد كلمة الخاصة بلفظتها ودلالتها من دون أن يعتمد على معناها أو على فهم المتلقي لها بل يحاول أن يعطي لذلك الموضوع زخما حقيقيا يجاري أثره في منظومة الحكم ، فالإمام لا يكتفي بمكانة مالك الأشتر و التقوى التي هو عليها والخصائص التي تتمثل في شخصيته (١٣) بل يتعدها ليؤكد له ذلك الأمر في مواقف عدة يتائم بينها وبين مفاهيم غاية في الأهمية و الدقة إذ نرى الإمام يقول لمالك:"**أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب** "(١٤) .

ما يعني أن الزهو الذي يتمثل في خاصة السلطان بإمكانه أن يخترق المنظومة الدينية والعقدية والأخلاقية للوالي لتحولها من أداة لتطبيق المبادئ الدينية وتجسيد حقيقة المشروع الإلهي إلى أداة هدم وعنصر شك في واقعية النظرية السياسية الإسلامية التي منيت بهزائم طيلة العقود السابقة .

لذا نجد البعد الإيماني مترافق مع كل بنود ذلك العهد المقدس فالإمام (عليه السلام) يحاول أن يطوع مبادئ نظرية الإسلام السياسي ولكن في اصطفاف متماشي مع محورية الإيمان وطبيعته و النتائج التي تترتب على الانحراف عن مضماره ومساره في استحضار لتلك العبارات التي تحيط المتلقي بجو من الفهوم و التأكيد القصوى على ضرورة توقي الحذر ف "أنصف الله / إلا تفعل تظلم / من ظلم عباد الله كان خصمة الله دون عبادة/ من خاصمه الله أدحض حجته " يستلهم منها طبيعة المهمة الملقاة على الوالي فهي ليس تشريفا أو نشوة حكم ، بل هي مهمة المحك الذي يكون فيها الحاكم على طريق هي أحد من السيف وأدق من الشعرة .

عندما يتحدث الإمام علي (عليه السلام) بهذه الصراحة والصرامة في الوقت نفسه يستثير في الباحث مجموعة من علامات الاستفهام أهمها: هل أن واليه مالك يتصور منه أن يأتي بمثل هكذا أمور ، وهل له من الخاصة التي بإمكانها ان تسيطر على قراراته أو تستغل سلطته لتضخيم ذاتها عن طريقة استغلال رمزيته ؟ ، أم أن الإمام يحاول أن يذكر المتلقي بالنتائج الوخيمة التي تعرضت لها نظرية الحكم الإسلامي نتيجة غزو الخاصة وتمدد أذرعها ؟! .

في الحقيقية لا تكاد تسعفنا المصادر عن وجود خاصة من أهل بيت مالك الأشتر أو من عشيرته قد انطلقت معه إلى مصر وهي طامحة بالسلطة والتولية ، إذ أن كل الذي لدينا يشير إلى أن اضطراب أوضاع مصر أضطر الإمام أن يضحي بتواجد مالك – ذلك التواجد الذي له ماله من ابعاد عسكرية ونفسية– في منطقة الجزيرة الفراتية قريبا منه [١٥] ، والشيء الآخر أن شخصية مالك كانت تمثل قمة هرم خواص أمير المؤمنين عليه السلام وهو في كل ذلك عاش تجربة أمير المؤمنين وتعامله مع الخواص و المقربين من أهل بيته أو صحبته لذا كان عليه أن يطبق ما عاشه من تجربة مع أمير المؤمنين بكل تجرد لا أن يتخلى عنها بمجرد توليته على مصر.

ثم أن مالكا كان واليا على الجزيرة ولم يبرز منه أيا من تقريب الخاصة أو إعطاء أي منفذ أو تدخل أو تأثير لهم عليه ، بل إننا نجد أن مالكا كان يمثل شخصية القائد المثالي و المتكامل فهو حتى بعد أن سحب من إدارة الجزيرة لم يخطر بباله أن يولي عليها شخصا من

أهل بيته اومن اقربائه لذا ولاها بدلا منه شبيب بن عامر الأزدي[١٦] الذي كان يملك صفات القائد التي اخذها من مالك الأشتر ، كما أن شخصية مالك لم تكن شخصية مبتذلة أو قليلة السيطرة على زمام نفسها أو تضحي بكل بمبادئها لأجل الخاصة ، بل كانت شخصيته تمثل قمة الالتزام بأوامر أمير المؤمنين و بإيقاع منضبط قل نظيره في المتواجدين معه (سلام الله عليه) ، فهو في غمارات صفين يمتثل لرأي أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أن النصر قريب إذ بعد أن رأى الإمام أن مكيدة المصاحف قد وجدت رواجاً في جل جيشه ، أرسل إلى مالك الأشتر بإيقاف القتال ، ولم يمهله بالاستمرار وحسم المعركة حتى لو كان الوقت المطلوب فواق ناقة أو عدوة فرس [١٧] ما أدى بمالك أن ينسحب من المعركة في التزام واضح بأمر أمير المؤمنين ومبدئية واضحة تجلت حين وبخ المتخاذلين بقوله " يا أهل الذل والوهن ، أحين علوتم القوم ، وظنوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وتركوا سنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم ! أمهلوني فواقا فإني قد أحسست بالفتح . قالوا : لا نمهلك ، قال : فأمهلوني عدوة الفرس ، فإني قد طمعت في النصر ، قالوا : إذن ندخل معك في خطيئتك . قال : فحدثوني عنكم ، وقد قتل أماثلكم ، وبقى أراذلكم ، متى كنتم محقين ! أحين كنتم تقتلون أهل الشام ! فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون ! أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقون ! فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم ، وإنهم خير منكم في النار . قالوا : دعنا منك يا أشتر ، قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله ، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا ، فقال : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله ! فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، ألا فقبحا يا أشباه النيب الجلالة ، ما أنتم برائين بعدها عزا أبدا ، فأبعدوا كما بعد القوم الظالمون "[١٨] ومن ثم فمثل هكذا أمور لا يمكن لها أن تلج إلى ولاية مالك على مصر أو تصاحب حكمه

يبدو أن الإمام اراد أن يحيي ذلك الارتباط بين التشوهات التي طالت تجربة الحكم الإسلامي بنظرة واقعية مستمدة من تجربة ومعرفة دقيقة فهو كأنما يريد أن يجعل مالك يسير في دائرة الواقع المعرفي الذي لا مجال للتخمين أو الشك في ثناياه ليستخلص له عوامل النجاح المستوحات من المسيرة المعرفية التي تمثلت في شخصه (سلام الله عليه) والتي صاغها في النص الذي يقول فيه " **إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي ، فلقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر جليله ، وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله** " ما يعني أن

معارف الإمام تؤكد لمالك على ضرورة أن يتخذ من معايشة الحالة التي عاصرها الإمام والتي تنفذت من خلالها الخاصة وبدت مسيطرة على منظومة الحكم عبرة له .

غير أننا عندما نطالع رسائل الإمام وعهوده إلى ولاته الآخرين لا نجدها تحمل ذلك التأكيد على تجنب الخواص بالشكل الذي أكده على مالك وهذا ما يثير الاستفهام فشخصيات ولاته السابقين ليست بمستوى شخصية مالك فمالك يقول عنه الإمام : " **فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطي عنه أمثل**"[١٩] وقال وقد أتاه نعي مالك "**مالك وما مالك ! لو كان جبلا لكان فندا ، لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر**"[٢٠] وفي كتابه لأهل مصر قال عنه : " **فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم**"[٢١] فلماذا هذا التأكيد ؟! .

إن أهم ما يمكن توضيحه هنا أن التحذير من الخاصة في هذا العهد كان له مدخلية وارتباط بشخصية مالك و بالمنطقة التي كلف بحكمها ، فمالك يتحد مع مصر في مفردة مهمة وغاية في الدقة ترجع جذورها إلى انحراف الدولة الإداري الذي افضى بالثورة على عثمان ، إذ كان مالك من بين أبرز الذين ثاروا على عثمان نتيجة لاستئثار خاصته في الحكم و انتزاءهم الدولة الإسلامية بكل مفاصلها السياسية والاقتصادية واستغلالهم لرمزيته في ذلك الأمر وتقريره لهم ذلك الاستغلال، وكذلك كانت مصر فأهلها من أركان الثورة على عثمان وقد تشاطروا مع مالك التوجه نفسه و الهدف هذا الأمر كان واضحا عند الإمام علي عليه السلام وحاضرا في ذهن وأكده في كتابه الذي أرسله اليهم حين ولى مالك إذ خاطبهم بقوله : " **من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذهب بحقه ، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن ، فلا معروف يستراح إليه ، ولا منكر يتناهى عنه أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله....**"[٢٢]، لذا كان كلام الإمام واعطاءه هذا الزخم التحذيري من خواص أهل بيته ناتجا من ذلك الأمر الذي ترجمه الإمام كي يكون مفردة مفصلية في ولايته على مصر ، فثورة أهل مصر على عثمان إنما كانت نتيجة الهياج القبلي و النهم الذي راود خاصة عثمان الذي وصفه الإمام بقوله:" **الى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه .وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله . وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته** "[٢٣] ومن ثم من غير المقبول في الحكم الرشيد أن

تتكرر هذه الحالة وفي بلد وقف بالضد منها و تجاهل نقاط الحساسية التي يتحسس منها الناس وثاروا ضدها ، لذا كان ذلك التشديد .

كما يمكن أن يضاف أن المقصود في الخطاب ليس مالكا إن مالك كان طريق ولدت من خلالها تلك الوصايا وإنما المقصود منه هو كل من يأتي لحكم الأمة فالواجب عليه أن يتنبه لمثل هكذا أمر .

ثالثا : الخاصة والصورة الضمنية للمصداق السلبي في تجربة الحكم الإسلامي

يتمثل اقتناص العبرة من الأحداث الماضية نموذجا لا يمكن للإمام ان ينحيه عن المستقبل بل كان مهتما به بشكل كبير لذا نجده يركز عليه في عهده لمالك الأشتر فهو يوصيه بقوله " **ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ – أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ – مِنْ عَدْلٍ وجَوْرٍ – وأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ – فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ – ويَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ – وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ – بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ – فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ...**" [٢٤]

و من الأمور المستحضرة في هذا العهد المبارك التي تشكل ارتكازا مفصليا هو استحضار التجربة التاريخية والجنوح إلى القراءة المتعمقة لطبيعة طبقة الخواص كطبقة محيطة بمركز القرار وأعلى هرم في كيان الدولة و الكشف عن أثرها المحوري وتأثيراتها في نضوج تجربة الحكم أو قوقعتها و تحجمها ومن ثم انهيارها ، و الإحاطة بكلام الإمام والزخم المعطى لها يتطلب منا ايجاد تلك المقاربات وتوضيح حقيقة نتائجها ، إذ يعرض الإمام الى ذلك بقوله : " **ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ولاتقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة. ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة** "[٢٥] .

من الواضح أن الإمام علي (عليه السلام)لم يتغافل عن الاستدلال بواقع الخاصة في الدولة الإسلامية سواء كان في خلافة عثمان أو في خلافته ، ليحذر مالك الأشتر منه ، فتقريب بني أمية وزجهم في ادارة أمور الدولة الإسلامية السياسية والإدارية جعلهم أكثر نشوة واعتدادا بالنفس وأكثر جماحا وطموحا وتمردا حتى ظهر ذلك جليا و على أوجه في عدة مواقف من أهمها الاستئثار المالي و الإداري . فقد سيطر الأمويون على موارد الدولة الإسلامية حتى

أعطى عثمان زمام الدولة لهم وأباحها بمواردها المالية الكبيرة وجعلها حكرا ومغنما خاص لبني أمية ، وتجليات ذلك واضحة فقد " **افتتحت إفريقية في أيامه ، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان... وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة ، فأعطاه أربعمائة ألف درهم . وأعاد الحكم بن أبي العاص وأعطاه مائة ألف درهم . وتصدق رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين ، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم . وأقطع مروان فدك ... وحمى المراعى حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بنى أمية . وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب ، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين . وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال ، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال ، وقد كان زوجه ابنته أم أبان ، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح ، فوضعها بين يدي عثمان وبكى ، فقال عثمان : أتبكي أن وصلت رحمي ! قال : لا ، ولكن أبكى لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضا عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله...**"[٢٦] .

لقد شكلت كل تلك الأمور رافدا استقى منه الإمام علي (عليه السلام) ذلك العرض والتحذير لمالك الأشتر ، بل إن الإمام علي عليه السلام لم يكتف بالتحذير بل تعداه ليوعز لمالك جملة من المقومات التي تعرف بطبيعة هؤلاء وطرق معالجة ذلك الهياج الكامن في نفسيات تلك الطبقة ، فمنع الإستئثار والتطاول يجب أن يقوم بمنع حصول هذه الطبقة على امتيازات تشريفيه تميزهم عن غيرهم من الرعية واستثناءآت قانونية تسمح لهم بالتطاول و تجعلهم بمأمن من طائلة المحاسبة والعقوبة والردع لذا قال له الإمام : " فاحسم مادة أولئك بقطع اسباب تلك الأحوال ".

ولعل ذلك الأمر من العلامات الفارقة التي اتسمت بها خلافة وشخصية الإمام علي (عليه السلام) وتميزت عن السابقين له فلم يكن الإمام يسمح لأي شخص من خاصته أن يكون في مأمن من ردعه وعقوبته ، لذا نراه يفعل دور القانون بردع مجموعة من خاصته كلا حسب جرمه ، وكنماذج على ذلك نعرض عدة أمثلة :

١- عندما اخبر أن المنذر بن الجارود يقرب خاصة عشيرته خاطبه الإمام بقوله " أما بعد فإن صلاح أبيك غرني منك ، وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله ، فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك انقيادا ، ولا تبقي لآخرتك عتادا ، تعمر دنياك بخراب آخرتك ،

وتصل عشيرتك بقطيعة دينك . ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك. ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر ، أو ينفذ به أمر ، أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة ، أو يؤمن على خيانة فأقبل إلي حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله "(٢٧)

٢- في حين أنه خاطب عبد الله بن عباس وقد اغلظ في الموقف مع بني تميم بقوله : " **قد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم ، وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام . وإن لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها . فأربع أبا العباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر فإنا شريكان في ذلك ، وكن عند صالح ظني بك ، ولا يفيلن رأيي فيك . والسلام** "(٢٨) .

٣- بينما نجده يوبخ عثمان بن حنيف على فعل هو مباح له وذلك حينما دعي إلى مأدبة قائلا : " اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو . فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه " (٢٩) .

هذه اهم الأمور جعلت من خاصة الإمام و المقربين منه لا يساورها الطمع في شخصه ونيل الحظوة عندها بل أخذت تتوجس منه وتهابه مهابة الإيمان تلك التي عبر عنها قيس بن سعد لمعاوية : " رحم الله أبا حسن ، فلقد كان هشا بشا ، ذا فكاهة ، قال قيس : نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويبتسم إلى أصحابه ، وأراك تسر حسوا في ارتغاء ، وتعيبه بذلك ! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى ، تلك هيبة التقوى ، وليس كما يهابك طغام أهل الشام !"(٣٠) .

ولم يقف الإمام علي عند ذلك بل تعداه الى المفهوم القيمي الذي يتمثل بتلك الخاصة فهي طبقة لا تعترف بالعدل أو تتوخاه وتجعل منه شعارا لها ، بل تحاول ونتيجة لمكانتها من الحاكم أن تكون مستأثرة على العامة وغير معتدة بتواجدهم لذا خاطب الإمام علي عليه السلام مالكا بقوله (فيهم **استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف في معاملة** " وهو استحضار واضح وصريحة للتجربة التي تمثلت في بني أمية أيام عثمان ، إذ اصبح من المعتاد جدا أن يرى شخصا من بني أمية يستأثر بما ليس له على عامة الناس بل يتعدى عليهم بالفعل والقول ، وكمثال لذلك نجد أن

والي الخليفة على الكوفة سعيد بن العاص الأموي يطلق كلمته المشهور " ما السواد بستان لقريش"[٣١] تلك الكلمة التي غير مجرى الأحداث وأججت النقمة على النهم الأموي والمعاملة التي تلقها عامة المسلمين منهم .

ولم يكتف أمير المؤمنين (عليه السلام) بتشخيص صفات هذه الطبقة والتعريف بنطاق توسعها بل نراه يذهب الى ابعد من ذلك ليعرف بطرق علاج ما يدلل على نهمها بحالة من التنبيه منه وفي الوقت نفسه بتقريب العامة من خلال عدة أمور :

١- منع تفضيل الخاصة ماديا أو اشعارها بأهمية تواجدها المعنوي وهذا ما مثله قوله سلام الله عليه " **ولاتقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة**" .

٢- قطع اسباب الطمع المادي عند الخاصة من خلال ابراز جوانب الحزم وعدم السماح لهم بالإضرار بالعامة أو التهرب من الواجبات الملقات عليهم و التأكيد على قيامهم بالمهام و المسؤوليات المطلوبة منهم والواجبة التنفيذ إذ أكد ذلك بقوله : " **ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة**" .

إن الآراء الواردة في كلام الإمام علي السابق تكشف عمق الفكرة وتظهر اتساع الأفق الذي ميز شخصيته (سلام الله عليه) عن غيره ، فالسمة التي تميز الفكر الاداري للإمام علي تتميز بالثراء القيمي ،ففي شتى المواقف يشير الى العامة ويحذر من تجاوزات الخاصة عليهم ويروج لمبدأ حكومة الغالبية لا سيما إن كانت تلك الغالبية على حق أو أن رأيها أرجح من رأي الخاصة ، ما يلفت النظر إلى مركزية العامة في انتظام عقد الدولة وضرورة إستمراره واثره في ابراز شخصيتها التي من خلالها تشيد أسس الدولة وتنهار إذا ما اهملت ، وتجليات ذلك الأمر واضحة تمام الوضوح من خلال ابراز الإمام لمردود كلا النموذجين ففي الوقت الذي يصور فيه طبقة الخاصة بأنها طبقة تعمد على امتصاص موارد الدولة في وقت السلم ، لتتحول في وقت الإضطراب والطوارئ إلى متفرج على ازمة الدولة من دون أن تقدم لها ما يقابل ما كانت تحصل عليه في تناقض تام لكل ما يتوقع منها ، هذا الأمر أوضحه الإمام بقوله لمالك " **وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ،وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة . وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف ، وأقل شكرا عند الاعطاء . وأبطأ عذرا عند المنع ، وأضعف صبرا عند**

ملمات الدهر من أهل الخاصة وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة ،فليكن صغوك لهم وميلك معهم "

في الحقيقة إذا اردنا فهم كلام الإمام فإننا نجد هناك مقابلة بين المعطيات والصفات ، وجدوى ذلك التواجد ومردوده .

فمن حيث المردود الاقتصادي لتواجد الخاصة نجد ان الإمام يشخص طبيعة تلك الطبقة بكونها تمثل قمة الهرم في استنضاب الموارد فامتيازاتها تمثل الثقل الأكبر على اقتصاد الدولة فهناك بون شاسع بين امتيازاتها وامتيازات العامة ، ولعل منطلق التجربة قد فسح المجال لمفهوم (دور الخاصة في نضوب الموارد الاقتصادية) أن يبرز في كلام الإمام ، ويكفي في ذلك أن موارد الدولة قد تم تحويلها إلى ملكيات خاصة في عهد عثمان وهذا ما دفع الإمام عليه السلام إلى اعلان اصلاحه الاقتصادي في اليوم الثاني من خلافته و الذي برز فيه تعديل ميزان الدولة واسترجاع الأموال المنهوبة بغير حق إذ قال : " **ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود في بيت المال ، فإن الحق القديم لا يبطله شئ ، ولو وجدته وقد تزوج به النساء ، وفرق في البلدان ، لرددته إلى حاله ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق** "[٣٢] ولعل كلام الإمام الآتي يوضح من المقصود بالدرجة الأولى من ذلك البيان " **إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع**" أي أنهم الأداة التي عملت على استنضاب الإقتصاد الإسلامي و الإستئثار به من دون غيرها من الآخرين ، لذا نجد الإمام يتكلم بوضوح عن مدى سلبية المردود الإقتصادي الذي تخلفه طبقة الخواص على الحاكم .

في حين المح الإمام إلى سلبية المردود الدفاعي لتلك الطبقة فليس" **أقل معونة له في البلاء / وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة**" ما يعني أن الاتكال على تلك الطبقة والتعضد بقوتهم إنما هو أمر غير واقعي وليس له أدنى وجود وقد أوضح ابن ميثم البحراني سبب ذلك بقوله :" كونهم أقلّ معونة له في البلاء لمحبّتهم الدنيا وعزّة جانبهم / كونهم أضعف صبرا عند ملمّات الدهر لتعوّدهم الترفّة ، وجزعهم على ما في أيديهم من الدنيا "[٣٣] ولعل ذلك يتضح من خلال تجربة عثمان أيضا فهو قد عمد على استنجاد بني أمية لنصرته غير أن ممثل الأمويين آنذاك معاوية تقاعس عن نصرته أو الدفاع عنه.

ما يعني أن مقاربة المعطيات التاريخية و معاينة التجربة انتجت صورة واقعية لإخفاقات مجموعة مقربة من الحاكم تدعي لنفسها صفة (النخبة) إذ أن حقيقة امرها لا تعدو من كونها

مجموعة قد اصطنعت لنفسها أسلوب حياة هو في مجملة لا يتماشى إلا مع تحقيق ذاتها ، في حين يمثل عنصر الهدم و الهرم للدولة ، ومنها جاء تركيز الإمام على ضرورة التشخيص الحقيقي لمكامن القوة في الدولة بشكل عام والتي يمثلها عامة الشعب وما فيهم من صفات السخاء المادي والمعنوي فهم من جانب يمثلون الثقل الأهم في الدولة من حيث العدد أما الخاصة فلا يمثلون إلا مجموعة لا نسبة بينها وبين العامة ، وكذلك من كون العامة قد التصقت بالدولة معتبرة اياها ممثلا حقيقيا لها و إن حققت لهم النزر من مقومات حياتهم ، فكيف سيكون حالها إذ ما طبق كلام الإمام لمالك في أن " **يكن صغوك لهم وميلك معهم**" حينها ستنشط وتبرز بوضوح شخصية العامة ومدى تحقق اهداف الدولة بهم تلك الأهداف التي شخصها الإمام بقوله " **عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء** " هذه الأهداف التي تمثل جوهر الطموح والغاية الأهم في نظرية الحكم العادل .

إن المقاربة بين عهد مالك وادارته لمصر و استحضار التجربة التاريخية الشاذة المشوهة في الحكم الإسلامي انما يهدف ايجاد عوامل الأمن الذاتي والوظيفي للوالي ، وهي نقطة مهمة توخى الإمام التنبيه عليها في عهده المبارك إذ نراه يقول حين نبه مالك على اعطاء الخاصة استثناءات بغير حق " **فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة** " اذ في حقيقة الأمر ان أمن الذات ورغبة الإمام في تحققه للوالي وعدم تأثير الخاصة فيه وتشويهه قد أخذ عدة اضاءات ، فالرعية تمتلك معيار وأداة المقارنة بين تجربة الحكم السابق والتجربة المعاصرة ، ومن خلال تلك الدراية ينبعث منها ما قد يمثل امن الذات المعنوي والمادي ، فأما المعنوي فان الرعية " **ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده** "

و أما الأمن المادي فان الميل للخاصة سيوافر عوامل الظلم التي تبرز الشخص لخصومة الله " **ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب . وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين**

وهو للظالمين بالمرصاد" أي سلب توفيقه ولم يعد محفوفا بالعناية الإلهية .وهذه التفاتة قلما يتنبه إليها انسان ولكن الإمام أبى إلا أن تكون حاضرة وبقولة في عهده المقدس .

رابعا : حكم الأكفاء ومنظار الصفات المؤهلة للقيادة

من النقاط المفصلية التي بدت واضحة في ذلك العهد هو رغبة الإمام علي (عليه السلام) أن يكون الحاكم محاط بطبقة لا يعبر تواجدها عن التواجد غير المستحق وانما اراد أن يكون ذلك التواجد عن استحقاق جدارة فهو في الوقت الذي ينبه مالك ويحذره من الخاصة يبرز له طبيعة تكوين جهازة الإداري والصفات المؤهلة لتسنم الإدارة و أثرها في حكمه .

يورد الإمام معطيات غاية الأهمية في هذا المجال يوجب توفرها في الأعوان اهمها :

١- القدرة على فهم الوضع الحقيقي للدولة .
٢- اختيار الوضع المنشود لمستقيل الدولة
٣- القدرة على التخطيط لوضع برنامج عمل مؤسسات الدولة .

هذه الأمور تتبين من خلال قول الإمام علي لمالك الأشتر " "

ما يعني أن الإمام أراد من مالك أن يعتمد على بسط عدله و تنفيذ دستور ولايته على من يجد فيهم الحكمة و العقل و الدراية وتترسخ فيهم مقومات الدين و العلم والفقه و الدهاء ليتقوي بهم على ادارة امور البلاد و لتصل بهم العامة إلى اعلى درجات الإنتفاع الممكنة ومن ثم ابعاد عوامل الجهل و الإختلال المجتمعي و نشوء مجتمع خال من آفات الجهل و المرض والعوز ، فهم أداة لإرتقاء المجتمع الإسلامي ، لا أن يعتمد على من هم أقل خبرة و لا يستهدفون من احاطتهم بالحاكم إلا ارضاء الذات و التفاخر بالمسؤولية وحسن الإدارة في العلن ، وهم في حقيقة الأمر لا يملكون الأدوات المعرفية التي تحسن من عمل الدولة بل يأخذهم شبح السلطة و الوصول إلى المناصب ما هو إلا غاية قربهم و مشورتهم التي يستهدف منها المنفعة الذاتية فقط .

الخاتمة

بعد تلك الدراسة يمكننا ايجاز جملة من النقاط التي توصل إليها الباحث :

١- من خلال ما تقدم يتبين أن أمير المؤمنين(ع) كانت له غاية حاول ادراجها في عهده لمالك الأشتر، تفيد بتقديم مشروع إصلاحي شامل لإدارة الدولة والمجتمع، وتبين أن تأكيده على الحديث عن طبقة الخاصة التي تضم المقربين من حاكم (خاصة أهلك / ومن لك فيه هوى) على أهميتها وأولويتها والتشديد الذي خصها به دون غيرها من الفئات الأخرى، إنما فرضه خطوات الإصلاح الذي فرض نفسه كضرورة لهيكلة مؤسسات الدولة ومرافق الحياة

المجتمعية، ، وأن هذا الأمر انما يمثل نقطة الشروع في عملية الإصلاح التي تنطلق من المؤسسة السياسية ذاتها لتنتج ترسخ قيم ومفاهيم لو اجيز لها التطبيقة العملي لمهد قيام أركان الحكم الرشيد و الغى تواجد عوامل الإنهيار التي احاطت بالمسلمين و ادت إلى تصارعهم وتقاتلهم.

٢- كما يمكن تشخيص الظرف الذي ولد فيه العهد فهو قد ولد بعد كثير من التشوهات التي طالت المبدأ الإسلامي المرسوم لإدارة الدولة و الحياة العامة ، إذ توسعت رقعة الدولة الإسلامية أبان حركة الفتوحات ، التي انتجت تضخم في الحياة الإقتصادية و اختلاف في ميزان العطاء المادي حتى ولد نواة الطبقية التي أصبحت واقعا ملموسا بزيادة الواردات من البلدان المفتوحة ، فقد قسم المسلمون على أساس السابقة و القرب من الرسول ، ولم يكن للمتأخرين في الإسلام إلا فتات العيش الذي لا يسد الرمق بينما اتخم الطرف الآخر ، وكانت الخاصة في هذا المورد انما تتجلى بالسابقة وليس بالقرابة ، ثم تطورت في عهد عثمان لتعاني الأمة من الخاصة التي كون البعد الأسري اطرها وابعادها مما حتم على الإمام علي الإلتفات إلى هذا الأمر ليشدد على ولاته بشكل عام ومالك بشكل بعد الوقوع في مغبته لما له من نتائج وخيمة جدا .

٣- ونتيجة للانحرافات الخطيرة في إدارة الدولة والمجتمع، حرص الإمام(ع) على وضع برنامج إصلاحي شامل لكافة مرافق الحياة في الدولة الإسلامية عبر عهوده التي وجهها لولاته، التي كان أشملها وأطولها عهده لصاحبه ووالية مالك الأشتر حين ولاه على مصر بعد عزل محمد بن أبي بكر عنها، وهذا ما يؤشر لخصوصية مالك الأشتر وتميزه عن جميع صحابة وولاة الإمام(ع)واطمئنانه وثقته بقدرة مالك على تنفيذ برنامجه الإصلاحي الذي خطه له في العهد، وإلا لكان عهد به لمحمد بن أبي بكر، كما يؤشر خصوصية لمصر، بعدها من الأقاليم الغنية والواسعة والمتنوعة عرقيا وعقائدياً في تكوينها السكاني، ومن ثم للصراع الدائر بينه وبين معاوية عليها، ومحاولة الأخير بسط نفوذه عليها لكثرة خيراتها من جهة ولكونها من أهم الأمصار التي شارك أهلها في الانتفاضة على عثمان وقتله، ومن ثم فإن المصريين بحاجة لمشروع إصلاحي شامل يعيد ثقتهم بالخلافة الإسلامية

٤- يرجح الإمام علي (عليه السلام)مبدأ حكومة الرعية وسلطتها و وارتفاع مكانتها على من سواها ويشير إلى دورها المحوري في انتظام عقد الدولة على عكس مكانة الخاصة التي لا تمثل إلا نموذج النفعيين المساهمين وبشكل كبير في استنضاب موارد الدولة دون تقديم ما يقابلها أو يساويها من خدمات .

٥- ركز الإمام على قضية في غاية الأهمية ألا وهي مفردة الأمن الذاتي والوظيفي للوالي وهو غاية كبرى كان الإمام يرغب في تحققها ، إذ عد الإمام السبيل إلى تحقق ذلك هو رضا العامة و ما يجري الله سبحنه وتعالى على السنتهم من ثناء واطراء للوالي ، وهذا الأمر هو نتاج السياسة العادلة التي تواخاها الوالي وعمل بها .

الهوامش

١ – الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٥ / ١٣٥ ، المعجم الصغير ، ١ / ٢٥٥ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ٣ / ١٢٤ ، ابن مردويه ، المناقب ، ١١٧ ، ١١٨ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ١٧٧ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١١ / ٦٠٣ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ١ / ٢٦٩، ، بل إن هذا الإقرار قد جاء على لسان أناس منحرفين عن الإمام علي (عليه السلام امثال الشعبي الذي ورد عنه أنه قال : " ما كان أحد من هذه الأمة اعلم بما بين اللوحين وبما انزل على محمد من علي " الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١ / ٤٨ــ ٤٩، الزرندي الحنفي ، نظم درر السمطين ١٢٨.

٢ ــ نهج البلاغة ، ٥٤ ،ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩ / ٢١٧ .١

٣ – لابد من الإشارة إلى أن هناك أنواع للملأ في القرآن الكريم منهم الملأ السياسي والملأ الاجتماعي و الذي ورد في كثير من الآية منها ما ذكر في سورة الأعراف الآية، ٦٠، ٦٦ ، ٧٥، ٩٠ وغيرها من السور التي يبدو من خلالها أن الملأ الكافر هم حالة شاذة مخالفة للفكر والعقل وهم في حالة تهجم مستمر على الإرادة و الحق الإلهي الذي جاء به الإنبياء وفي معارضة تامة لتطبيق تلك المبادئ على الأرض ، إذ نجد أن الملأ الكافر دائما ما يحاول أن يكذب ويكفر انبياء الله بل يحاول النيل منهم بكل الطرق ، و لو حاولنا معرفة سبب ذلك فإننا نجد أن ما جاء به الإنبياء هو مخالف لطبيعة ما يريده الملأ وهو ضرب لمصالحهم ، ما يعني أن النتيجة حتمية في محاربة هؤلاء للحق الذي يريده الله سبحانه وتعالى وهذه صورة من صور فقدان الملأ للعقل واحتواءهم للجهل في التعامل المذكور مع الأنبياء .

٤ – سورة يوسف ، الاية : ٤٣– ٤٤ .

٥ – الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ١١ / ١٨٧ ، الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ٣ / ٣٣١ ، المشهدي ، تفسير كنز الدقائق ، ٦ / ٣١٨ .

٦ – اختلفت الآراء في اسم الفرعون الذي عاصر موسى ، ينظر في ذلك دروزة ، تاريخ بني اسرائيل .

٧ – سورة الأعراف ، الآية : ١٠٩ – ١٢٧ .

٨ – سورة الشعراء ، الآية : ٣٤ –٣٧ .

٩ – سورة الأعراف ، الآية : ١٢٧ .

[١٠] – سورة طه ، الآية : ٤٣ – ٤٤ .

[١١] – سورة النمل ، الآية : ٢٩ – ٣٥ .

[١٢] – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢ / ٢٧ ، قصص الأنبياء ، ٢ / ٢٨٩ ، ابن العربي ، احكام القرآن ، ٣ / ٤٨٧ ، الفخر الرازي ، التفسير ، ٢٤ / ١٩٥ – ١٩٦ .

[١٣] – تمثل شخصية مالك قمة النضوج الفكري والإيماني والذي تجسد بما قاله أمير المؤمنين عنه في عدة مناسبات ستتضح في مايأتي .

[١٤] – نهج البلاغة ، ٤٥٩ .

١٦ ــ كان شبيب عاملا على مدينة نصيبين قبل توليته على الجزيرة، أنظر البلاذري، انساب الأشراف، ص٣٩٨.

١٧ ــ ينظر في تفاصيل ذلك: ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ٣/ ١٨٧ ــ ١٩٠،الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٥ــ ٣٧، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣/ ٣١٦، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢/ ٢١٧،

[١٨] – ينظر في تفاصيل ذلك: ابو جعفر الاسكافي ، المعيار والموازنة ، ١٦٤ ، ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ٣/ ١٨٧ ــ ١٩٠،الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٥-٣٧، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣/ ٣١٦، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢/ ٢١٧- ٢١٩ .

[١٩] – نهج البلاغة ، ٣ / ١٤ .

[٢٠] – نهج البلاغة ، ٤ / ١٠٣ .

[٢١] – نهج البلاغة ، ٣ / ٦٤ .

[٢٢] – نهج البلاغة ،٣ /٦٣ .

[٢٣] – نهج البلاغة ، ٣٧ .

[٢٤] – نهج البلاغة ، ٤٥٨ .

[٢٥] – نهج البلاغة ، ٤٥٩ .

٢٦ ــ شرح نهج البلاغة ، ١ /١٩٩ .

[٢٧] – نهج البلاغة ، ٤٩٥ .

[٢٨] – نهج البلاغة ، ٤٠٤ .

[٢٩] – نهج البلاغة ، ٤٤٧ .

[٣٠] – ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ /٢٦ .

[٣١] – الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣٦٩/٣ ، ابو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ١٢ / ٣٦٧ .

[٣٢] – نهج البلاغة ، ٤٦ .

[٣٣] – ٥ /١٤٤ .

المصادر

❖ **القرآن الكريم .**

❖ **ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الشيباني(٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).**

١. الكامل في التاريخ ،(دار صادر ــ دار بيروت ، بيروت ــ لبنان١٣٨٥ هـ /١٩٦٥ م).

❖ **ابن أعثم ،ابو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ،(٣١٤ هـ / ٩٢٦م) .**

٢. كتاب الفتوح ، تحقيق : على شيري(ط١ ، دار الأضواء ، بيروت ــ لبنان ،١٤١١ هـ /١٩٩١م) .

❖ **البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) .**

٣. انساب الأشراف ، تحقيق وتعليق : محمد باقر المحمودي (ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .

❖ **أبو جعفر الإسكافي ، محمد بن عبد الله المعتزلي(٢٢٠ هـ /٨٣٥ م).**

٤. المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وبيان أفضليته على جميع العالمين بعد الأنبياء والمرسلين ، تحقيق : محمد باقر المحمودي (ط ١ ،د . م ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م) .

❖ **الحاكم الحسكاني ، عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري (من أعلام القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .**

٥. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تحقيق وتعليق: محمد باقر المحمودي(ط١ ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني ، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية ،طهران ــ إيران ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م).

❖ **الحاكم النيسابوري ،ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ،(٤٠٥ هـ /١٠١٤ م) .**

٦. المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي (دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د. ت) .

❖ **ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني(٦٥٦هـ/١٢٥٨ م) .**

٧. شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت ــ لبنان، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م) .

❖ **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ/١٥٠٥ م) .**

٨. الدر المنثور (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان) .

❖ **الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(٣٦٠هـ /٩٧٠ م) .**

٩. المعجم الأوسط ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد و أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني(دار الحرمين ، السعودية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥) .

١٠. المعجم الصغير ،(ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان،د.ت) .

❖ **الطباطبائي ، محمد حسين .**

١١. الميزان في تفسير القرآن (منشورات جماعة المدرسين ،قم ــ ايران ، د. ت .) .

❖ **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ/٩٢٢ م).**

١٢. تاريخ الرسل والملوك (ط ٤، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ــ لبنان،١٤٠٣هـ /١٩٩٣م) .

❖ **ابن العربي ، محمد بن عبد الله بن محمد (٥٤٣هـ / ١١٤٨م) .**

١٣. أحكام القرآن، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت – لبنان ، د.ت) .

❖ **الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦ هـ/ ١٢٢٣ م) .**

١٤. تفسير الرازي (ط٣ ، د.م .، د.ت) .

❖ **ابو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (٣٥٦هـ/٩٦٦م).**

١٥. الأغاني ،تقديم واشراف : كاظم المظفر (ط ٢ ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم – إيران ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م) .

❖ **القندوزي ، سليمان بن إبراهيم الحنفي(١٢٩٤هـ /١٨٧٧م).**

١٦. ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني(دار الأسوة للطباعة والنشر ،ايران ،١٤١٦هـ /١٩٩٦ م) .

❖ **ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ/١٣٧٢ م) .**

١٧. البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري (ط١ ، دار احياء التراث ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .

❖ **المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥ هـ /١٥٦٧م).**

١٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة ، ضبط تصحيح بكري حياني ،صفوة السفا (مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .

١٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تحقيق : يوسف اسعد داغر(ط٢ ، منشورات دار الهجرة قم المقدسة – ايران ، ١٣٨٥ ه/ ١٩٦٥ م) .

❖ **ابن مردويه ، أبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الإصفهاني(٤١٠ه / ١٠١٩م) .**

٢٠. مناقب الإمام علي(عليه السلام) ، جمع تحقيق عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين،(ط٢ ، دار الحديث ،قم المقدسة ــ ايران ،١٤٢٢هـ) .

❖ **الموفق الخوارزمي ،الموقف بن أحمد المكي الحنفي الخوارزمي(٥٦٨هـ / ١١٧٢م)** .

٢١. المناقب ، تحقيق : مالك المحمودي(ط٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي ،قم المقدسة ــ ايران ،١٤١٤هـ) .

❖ **الموفق الخوارزمي ،الموقف بن أحمد المكي الحنفي الخوارزمي(٥٦٨هـ / ١١٧٢م)** .

٢٢. المناقب ، تحقيق : مالك المحمودي(ط٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي ،قم المقدسة ــ ايران ،١٤١٤هـ) .

❖ **الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(٨٠٧هـ/١٤٠٤م) .**

٢٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،(دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م).

Summary

The research attempts to shed light on a sensitive point penetrating the regime of the ruler, namely, the extension of his confidants and their acquisition and appropriation of state resources. Therefore, he sought to raise this issue through the great covenant that the Imam (peace be upon him) made for the owner of the Ashtar while his father was against Egypt.